اهداءات ٢٠٠٢

أ.د / مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية

الإسلام
فى
مواجهة المذاهب الغربية

دكتور

محمد عزيز نظمى سالم

١٩٩٦

الناشر

مؤسسة شباب الجامعة

الاسكندرية ت ٤٨٣٩٤٧٢

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعـــــالى :

الرحمن • علم القـــرآن • خلـــق الانسان • علمه البيان •

(سورة الرحمن مدنية الايات ١،٢،٣،٤)

الاهـــــــداء

الى خاتم الانبياء والمرسلين سيدنا محمد بن عبد اللاه الامين صاحب الخلق القويم الداعية الى الاسلام ودين الحق الذى أصطفاه الله سبحانه وتعالى بالرسالة الحقة وبالسنة المباركة ..

الى سقراط أبو الفلسفة الذى جرؤ على السؤال من أجل الحقيقـــة واستشهد من أجلها بيد الجهالة والاستبداد .

الى نوبل العالم القدير الذى تيقظ ضميره الانسانى . فعمل من أجل رفاهية البشر والسلام بين بنى الانسان .

اليهم هـــذا الجهـــد المتواضع .

د. محمد عزيز نظمى سالم

شـــــــكر

الشـــكر لله سبحـــانه وتعـــالى على نعمه الكثيرة وأجلها نعمة العقل

والشكر لجيـــل الرواد من الاســـاتذة الذين نهلت من علمهم ومعـــرفتهم

والشكر لجيـــل الزملاء ممن يحملون راية الفكر والعقيدة والعـــلم من أجـــل الحقيقة •

والشـــكر لجيل الابناء من التلاميذ والمريدين الذين يطلبون المـــزيد من العـــلم •

اليهم جميعـــا آيات الشـــكر والعـــرفان بالجميل •

والله يوفقنا لمـــا فيـــه الخير ،،،

● تصـــــــدير

وهب الله سبحانه وتعالى الانسان نعمة العقل وأستخلفه فى الارض ، وبفضل هذه النعمة نشأ التعقل والتفكر وتميز الانسان عن سائر المخلوقات بهذه الميزة ومن هذا النبع الفياض أكتسب الانســان المعــرفة وتعــددت نشاطاته وقواه العقلانية بين فكر دينى وفكر فلسفى وفكر علمى • فــكان التصديق بالوحى معرفة بالحق وكان التأمل معرفة بالحقيقة وكان التعليل معرفة وتحقيقا وتولد عن ذلك اعتقاد وعبادة وتفســير للمعــرفة وتنظير لقواعد الفكر والتأمل وكما يقول الشيخ الرئيس أبى على الحسين بن سينا « كل معرفة وعلم فأما تصور واما تصديق والتصــور هــو العلم الاول ويكتسب بالحد ••• والتصديق انما يكتسب بالقياس ••• فالحد والقياس آلتان بهما تكتسب المعلومات التى تكون مجهولة فتصير معلومــة بالروية وكل واحد منهما (الحد والقياس) ــ منه ما هو حقيقى ــ ومنه ما هــو دون الحقيقى ولكنه نافع منفعة ما بحسبه ــ ومنه ما هو باطل مشبه بالحقيقى والفطرة الانسانية فى الاكثر غير كافية فى التمييز بين هذه الاصناف ولولا ذلك لمــا وقع بين العقلاء اختلاف ولا وقع لواحد منهم فى رأيه تناقض » •

لذا كان الشك منهاجا للوصول الى اليقين وأداة للتمييز بين الصواب والخطأ ، وبفضل التأمل والتحليل أكتملت مستويات وحلقات المعــرفة فى مجال الدين والفلسفة وتمثلت فى هذه المجالات وحدة المعرفة واكتمالها • وأصبح بامكان العقلاء أن ينظروا فى المسائل والمشــكلات بمعيار المنطــق والقياس أو ما يسمى بلغة الاصطلاح (الميثودولوجيا) وتعــددت طــرق

ومناهج البحث والتفكير تبعا لتنوع الدراسات ومجـالات المعـرفة بين مستوى النظر والعلم وبين مستوى التطبيق والمنفعة • وعـلى امتـداد عصور التاريخ تولدت ألوان من المعرفة وكانت أساسا لكل حضارة وثقافة وتقدم لبنى الانسان فى كل مكان وتعاقب العصـور والازمان وتعقـدت مشكلات الانسان فى المجتمع من خلال صراعه الدائم مع ذاته والاخـرين ومع البيئة فتولدت محصلة من المعارف والمكتسبات والخـبرات أمتزجت أحيانا بالاسطورة (الميثولوجيا) أو (بالسحر) وخوارق الطبيعـة ومن فترة لاخرى كان الفكر يعاود النظر بفطرته فينقى هـذه المعـارف مـن الشوائب والمتناقضات التى لا يقبلها عقل أو واقع • وأكتسب الانسان فى مسيرة الحضارة رؤية شاملة لوجوده فى العـالم فـكان الفكر الفلسـفى بموضوعاته ومباحثه المختلفة عن الوجـود أو الانطـولوجيا والمعرفة أو الابستمولوجيا والقيم أو الاكسيولوجيا •

واشتملت على اطارات من معارف نظرية وعملية بعضها يعنى بالانسان والمجتمع فكانت العلوم الاجتماعية والانسانية بما تحويه من أخـلاق ودين وفكر سياسى واقتصادى وقانونى ونفس وتربوى (بيداجـوجى) ولغوى وتعليمى وكانت أيضا العلوم الفيزيقية التى تعنى بالانسان وبغيره من الكائنات فكان الطب والصيدلة والكيمياء والطبيعة وكانت كذلك العلوم الرياضية من حساب وهندسة وعمارة فأكتملت بذلك المعرفة وتنوعت بحيث أصبحت نسقا معرفيا يميز مجتمعا عن مجتمع آخر وبقدر هذا الكم التراكمى من المعرفة تدرج الانسان فى سلم الرقى والحضارة • ولم يكن أى مجتمع

بمعزل عن أى مجتمع آخر فبينهما علاقات جـوار أو حـروب أو تبـادل اقتصادى أو تزاوج أو تكامل وتبادل معرفى وبتأسيس الدولة أو الحكومة أو الامبراطورية أو الممالك ، تحفزت كلها للاستفادة من المعرفة كسـبيل للقوة السياسية والعسكرية التى تمثلت فى حقبة ازدهار حضارات الشرق القديم كحضارة مصر الفرعونية وحضـارات ما بين النهـرين وحضـارة الصين والاغريق ، ولعل المؤرخ « سارتون » قد رصد بموضـوعيته تلك الحقبة من حضارة الانسان •

ثم اكتملت دائرة المعرفة الانسانية بالعقـائد السماوية المنزلة التى أكدت التوحيد فكانت بمثابة مرحلة جديدة فى الارتقاء بالشـعور الدينى المقدس الذى دعم القيم الاخلاقية والفضائل التى نادى بها الفلاسـفة والمفكرون القـدماء •

وتوازت ألوان الفكر الانسانى مع متغيرات العصر والمجتمع والبيئة فكانت فلسفات التاريخ والعمران البشرى والاجتماع الانسانى والسياسى والادبى والفنى والتعليمى والتربوى والنفسى ، وبمرور الوقت والنمـو المستمر لروافد وتيارات المعرفة ازدهرت مجالات المعرفة من ناحية النظر والقواعد والاسس كما توسعت فى التطبيق والممارسة والخبرة والتجـربة العملية ففى مجال العمارة والهندسة بلغت الحضارة الفرعونية مبلغا راقيا وفى الفن بلغت اليونان منزلة كبيرة وفى الفلك بلغ الاشوريون درجة عالية وفى الملاحة بلغت مصر وفينيقيا واليـونان مستوى رفيعـا وارتقت بذلك العلوم والحرف والصناعات والتطبيب والتحنيط وغيرها •

وقياسا على ذلك نجد أن قواعد الفكر وقوام التفكير والمنهج المنطقى بلغت درجة عالية فعرفنا منطق أرسطو وشعر العرب والنظم السياسية والحكم المصرى وكل نتاج حضارى فى الفكر العقلى أو التأمل الفلسفى وكذا الفكر العلمى أو التعليل للظواهر الطبيعية وأيضا الفكر العقائدى والديانات ، وتعددت اللغات والفنون والاداب والعلوم ونبتت ونمت الافكار والتصورات الاساسية كفكرة الذرة وفكرة المادة والطاقة والبيئة والتطور والتغير والصيرورة والتطبيب بالكى والاعشاب النباتية والصباغات والنسجيات والفخار وأنظمة الرى وتخزين الغلال والاشكال الهندسية كالهرم والدائرة وغيرها • وتسجيل الاحرف الهجائية واللغة وصناعة الاسلحة واكتشاف النار وتوليد الطاقة وشتى الاشياء المخترعة للحياة اليومية أو للحياة الاخروية (عند البعث والخلود) وخلال هذه المبتكرات تولدت الفروض والتصورات والتجارب والنظريات والقوانين التى كانت بمثابة حلقة من حلقات تطور الفكر الفلسفى والعلمى ، وأصبحت المعرفة الانسانية تضم نظريات أساسية أو فروض علمية ينتفع بها فى مجالات التطبيق •

وتجاوزت هذه المفاهيم نطاق الطبيعة والمادة الى الانسان والمجتمع فنشأت المذاهب الاخلاقية والسياسية والجمالية والمنطقية والتربوية واللغوية فظهرت نظريات النفس وقواها والدوافع والغرائز والسلوك واللاشعور وغيرها كما ظهرت بعد ذلك دراسات متنوعة كعلم الباراسيكلوجى وعلم البنية الاجتماعية أو البارسوسيولوجى والتكنولوجى والميتالوجيك

والسبرنطيقا وعلم اللغة والمعانى السيميولوجيا وفلسفات الفن أو الاستطيقا وغيرها من نتاج البحث والتأمل وسادت بعض النظريات العلمية أو الفروض كالذرية والنسبية والتطورية والكهرومغنطيسية والاكتوارية والجاذبية والوراثة وامتلأت سماء المعرفة بأسماء ورجالات ومخترعين ومكتشفين وباحثين على اختلاف أجناسهم وعلى اختلاف عصورهم وتوارثت الاجيال من بعدهم هذا الميراث المعرفى بمجالاته المتنوعة والحركة دائمة وفى استمرار بلا توقف للان وللغد ولقد تشابكت الدراسات وموضوعات المعرفة بحيث يصعب أن يفرق تفريقا تاما بين الفكر ومذاهبه وبين الفكر العلمى ونظرياته أو بينهما وبين الفكر الدينى وشرائعه فكل منهم مع الاخر يشكل نسيجا معرفيا وحضاريا ، ولم تعد الفلسفة مجرد ميتافيزيقا عابثة أو تتلاعب بالالفاظ كما لم يعد العلم معملا بعيدا عن ظواهر الواقع وتصورات الخيال ولم يعد الفكر الدينى مجرد طقوس حول نيران أو قرابين دموية وعبادة كهنة أو سحرة أو نساك فكل هذه المجالات مترابطة ومتكاملة ومتعقلة تسعى لحفظ التوازن المادى والروحى والعقلى فى توافق واتساق وانسجام .

ومن خلال التعرف والنقد والتحليل والمقارنة نقترب من الحقيقة ، والباحث عن الحقيقة فى متاهات الباطل يصعب عليه القيام بدوره ما لم يكن مؤمنا بانسانيته وبقدراته العقلية والروحية والحسية على ارتياد أغوار الماضى ومعايشة الحاضر والتطلع الى ابداعات المستقبل وكأننا نعيد دور « ديوجين » الذى يحمل مصباحه المضىء فى وضح النهار ليبحث عن الحقيقة

أيا كانت ، فلنبحثها بين الدراسات المعرفية للفكر وللعلم وللدين ونتعرف على العديد من النظريات والشرائع والمذاهب بحثا عن هوية الانسان فى هذا الزمان وفى أى مكان من أجل الحقيقة والحق .

دكتور / محمد عزيز نظمى سالم

مقـــــــدمة

شهدت القرون القليلة الماضية نموا متزايدا لمعرفتنا بالعالم ، فلقـد انتقل الانسان من الانشغال بالمسائل اللاهوتية ومن اهتمامه بروحـه الى الاهتمام بالقوى الطبيعية التى تحيطه كما أن البحث العلمى أعاد الحساب التقريبى لاكتشاف العالم وأزاحت النظريات العلمية التأمل الميتافيزيقى ، وها هنا توقف العالم عن أ ن يكون لغزا غامضا ، وأصبح الانسان بالمعرفة قويا مسيطرا على قوى عـديدة •

لقد كان من الطبيعى أن تقوم بمحاولة تطبيق تلك الانجازات العقلية على المعرفة الانسانية ، وأن نستخدم المناهج العلميـة التى تكشـف عن مكونات العمليات الفيزيقية فى السلوك الانسانى وأن نأمل فى أن تلقى الالة التى صنعت لانتاج عمليات عقلية عن كيف يعمل العقل ، وأن يؤدى تمكيننا من معالجة استجابات لمنبهات مضبوطة تمكنا من تطبيق نفس الامـر على الانسان •

ان العلم المتعدد الابعاد أثمر بعض النتائج لكنه خيب الامال لقـد أعاننا قليلا على تفهم بعـض المشـاكل الانسانيـة الكبرى كالحـروب والاضطراب الاجتماعى ، والامراض العقلية ، والصراعات الدولية ، لكنه لم يشف غليلنا تماما • لقد طلب منا أن نكون صبورين لان تطبيق المناهـج العلمية على الدوائر الانسانية يثير صعوبات خاصـة • ومـع ذلك فنحن نشعر بأن شيئا ما قد يظهر فنحن لا نزال ننتظر النسق المعرفى التـكاملى الذى يحقق الاتساق والانسجام بين الفلسفة والعلم والدين •

ان تشييد الدراسات الانسانية على غرار العلوم الطبيعية بحيث تكون نموذجا مشابها لها تماما هو ضلال عقلى ، وعقم علمى ، وخطر أخلاقى : هو ضلال عقلى لانه يتجاهل العمليات المعرفية المألوفة • وعقم علمى لانه لا ينتج المعرفة التى نحتاجها وخطر أخلاقى لانه يقبل تصور الانسان على أنه شىء آخر فى عالم مادى طبيعى والواقع أنه يجب علينا أن نعود الى الاسس وأن نهتم بالاطار الملائم لمعرفة الانسان •

ان التمييز الاساسى بين نمطى العمليات لمعرفية ضرورى وهام جدا ، فمعرفة سرعة الضوء تختلف عن معرفة ماذا يعنيه الشخص بتحريك يده • تتضمن الحالتان ادراكا لوقائع فيزيقية : قراءة لوحات الالة فى الحالة الاولى ، ورؤية يد تتحرك فى الحالة الثانية ، كما تتضمنان الثانية ، كما تتضمنان أفكارا ، لكننا ندرك فى الحالة الاولى واقعة فيزيقية بواسطة الفكرة ، وندرك الحالة الثانية الفكرة بواسطة واقعة فيزيقية نحن نسمى النوع الاول من المعرفة بالادراك أو الاستيعاب وأسمى النوع الثانى بالفهم •

وحينما نعطى الاطار النظرى لكل من هاتين العمليتين المعرفيتين اللتين تحدثان دائما فى الحياة اليومية ، فان هذا يعنى أننا نقيم نظرية المعرفة على قدميها وهذا يمكننا أيضا من اقامة تمييز واضح بين العلوم التى تهتم بالادراك وبين الدراسات الانسانية التى ترتكز على الفهم • ان النوع الاخير (الدراسات الانسانية) هو النوع الوحيد الذى نفهم من خلاله الواقع التاريخى المركب والاجتماعى المعقد للحياة الانسانية •

وعلى الرغم من أن للانسان خواصا فيزيقية هى موضوع العلم فان صفته الحاسمة أو الفاضلة هى أنه عاقل : أنه يفكر ويفعل ويتعقب الغايات انه يبدع العلم والفن والدين والمدن والالات والقانون والنظم ، وكل هذه تكون سياقا ذات معنى ممكن بل ويجب أن تفهم • ومن ثم فــلا يمكن أن نقتصر فقط فى وصف الانسان على وقائعه الفيزيقية وحدها ، بل يجب أن ندخل فى ، وأن نفهم العمليات العقلية التى تعطى بها الانسان لعالمه معنى• نحن لا نستطيع أن نعرف اذا أصبح شخص ما « جانحا » بدون أن نفهم مخاوفه وتطلعاته واهتماماته ومقاييسه الاخلاقية للمجتمع ، ان مثل هــذه الموضوعات الاخيرة بمثل موضوعات للدراسات الانسانية •

ان كل العلوم المهتمة بالانساق تتعامل مع أفعال واعية وأفكار وقيم وأهداف : فالتاريخ يعيد تكوين الماضى كقصة ذات معنى بواســطة اعادة القبض على الافكار التى أثرت على الناس وعلى الاهداف التى تعقبوها ، والفيلوجيا تعالج تطور الذات ، والفقه يعالج القواعــد القانونيــة التى فرضها الناس على أنفسهم ، والانثروبولوجيا الاجتماعية تهتم بالافــكار والتقييمات والقواعد التى تحدد السلوك فى المجتمعات البدائيــة • نحن لا يكفينا أن يلقى الناس المــاء على بعضهم البعض اننا نقنع حينما نفهم أن ذلك يعد جزءا من التعميد أو طقوس التطهير •

ان علم النفس أيضا يجب أن يكون دراسة آنسانية اذا أسهم اسهاما حاسما فى معرفة الانسان وفى حل مشاكله • ولان العمليات الواعية تدخــل فى أغلب ما يفعله الانسان فان اســتجاباته لا يمكن أن تفسر كما لو كانت

ردود فعل آلة ذات طريقة واحدة فى الاستجابة للدوافع • ان على النظرية التعليمية أن تأخذ فى اعتبارها وجه الاختلاف بين تذكر رموز لا معنى لهـا وبين تعلم مادة ذات معنى ، كما أن على نظرية الادراك أن تعـرف الدور الذى تلعبه التوقعات والافكار التى لم يتم تصورها بعد • ان أى نقاش حول الشخصية يجب أن يضع فى اعتباره اللغة والافكار والاحكام المسبقة والمبادىء الاخلاقية وعلى علم النفس الاجتماعى أن يعالج موضـوعات الدعاية والقيادة والعمل سواء بصورتها التقليـدية أو غـير التقليـدية ، ولا يمكنه اذن أن يتجاهل الافكار والقيم والاهـداف •

ولا يمكن لعلم الاجتماع أن يقتنع بملاحظة الناس وذكر نتائج منتظمة عن سلوكهم ، ان على علم الاجتماع أن يبحث عن الاسباب المعقـولة التى تقف وراء ذلك فحينما نقرر أن عدد المنتحرين من الطلاب الكاثوليك أقل من غيرهم ، وأن نسبة المواليد ترتفع عادة بعد الحروب أو أن الناس ينفقون أموالهم بطريقة معينة ، فاننا لا نستطيع أن نستخلص مسألتنا الاجتماعية، اننا نحصل فقط على مادة محتاجة الى دراسة أكثر •

ولعل أبرز ظاهرة فى عالمنا المعاصر هى التقـدم العلمى الملحـوظ فى مختلف فروعه وقد امتدت أبعاد التقدم الى مجال العلوم الانسانية عامـة وعلم النفس بصفة خاصة ، وذلك لانه بفضل تطبيق المنهج العلمى قد أحدث تحولا كبيرا فى ازدهارها •

ومما لا شك فيه أن هذا الازدهار نتيجة انطلاق العـلم من قاعـدة منهجية واضحة يقينية ولعل أقرب العلوم وأرقبها الى اليقين والصحة هى الرياضيات ثم الطبيعيات أما فى الميادين المختلفة للعلوم الانسانية وبصفة

خاصة الاجتماعية نجد عدم استقرار منهجى وتضارب عـديد من الاراء وعدم اتفاق منهجى فأصبحت معظم هذه العلوم علوما غير مضبوطة•وليس غريبا حقا أن نجد بعض الفلاسفة خاصة أصحاب الوضعية يكيلون بنقدهم الى الفكر الفلسفى الذى يلتزم بالقواعد العلمية ويرون أنه يتعين اخضاع المفاهيم أو التصورات الفلسفية للتحليل المنطقى بهدف الوصول الى الدقة فى التعريف والدقة فى الاحـكام •

وفى مجالنا هذا لا نناقش مقال النزعة السابقة فكل ما يعنينا هو تلك النظرة الشمولية أو التكاملية للمعرفة سواء أكانت تعريفات جزئية لموضوع المعرفة أو تعميمات كلية لها •

ويتعين علينا منذ البداية أن نصـف الاشـياء ونسميها بمسمياتها ، فالعلم وميادينه العديدة لا تخرج عن كونها تفسيرات أو محاولات للتفسير عن طبائع العلاقات بين الاشياء والمتغيرات التى يسميها العلماء الظـواهر أو الواقع أو الاحداث وما يمكننا أن نتنبأ به من وقائع أو ظواهر فى اطار غرض الاحتمال أو الضرورة أو الصـدفة أو العليـة ومن آثار التنبؤات السابقة نبتدع أو نبتكر مجالات للتطبيقات ذات المنفعة فى مجالات الحياة•

أما بالنسبة لمسائل الفلسفة ومشكلاتها التى تتصـل بالايمـان أو بالانسان أو بالمكان أو بالزمان فهى تخـرج عن نطاق تفسـيرات العـلم والعلماء ــ فمشكلة الحرية أو العدالة أو الالوهية أو المصير كلها علامات استفهام لا يرقى اليها تفسير العلماء • فهى بالدرجة الاولى مسائل فلسفية خالصة ، وهى متجددة على مدى العصور التاريخية والمجتمعـات وتبعـا لارتقاء العقل البشرى وتقدمه ولان تجاوزت هذه المشكلات نطاق العـلم